قادة المماليك الثلاث (الظاهر بيبرس و المنصور قلاوون و الأشرف خليل ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ـ ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) وتجديد دعوة الجهاد ضد الصليبيين وطردهم من أرض المسلمين.

م. د. عبد السلام جمعة محمد أمين
كلية التربية / جامعة تكريت

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الباحث يحاول الإجابة عن سؤال مهم ألا وهو ؛ مَنْ أولئك قادة المماليك الثلاث الذين استطاعوا بجهادهم طرد الغزاة الصليبيين من أراضي المسلمين ؟ وللإجابة عن هذا السؤال تطلب من الباحث أن يستعرض عن أصلهم وأهم الظروف التي ساعدت علىٰ بروزهم، فضلا عن ذلك العقيدة الدينية لكل قائد مملوكي، ولتحقيق المبادئ الإسلامية الواضحة والقيم السامية.

ولقد اهتم المماليك بالأوضاع الحضارية من بناء للمدارس والمساجد والعمائر، حتى عد عصرهم واحداً من أزهى العصور في العمارة، فقدكان للمماليك إسهام رائع في مجال العمارة، إذ أصبح فن العمارة علىٰ أيديهم إسلاميًا يستقي قواعده من مبادئ الإسلام وأصوله.

ركز الباحث علىٰ أهم القادة ومواقعهم التي أدت مع الذكاء والقوة البدنية والحنكة العسكرية إلىٰ نشوءهم الذي أشرنا إليه مقدماً، وظهورهم علىٰ الساحة، ولاسيما في مصر وبلاد الشام.

كانت مرحلة الجهاد ضد الممالك والإمارات الصليبية، التي قام بها قادة المماليك ؛ وفي مقدمتهم الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ـ ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)، وهو من أبرز الذين قاموا علىٰ هذا الأمر، إذكان يقاتل في جبهات ثلاث هي: الجبهة الداخلية – المعارضين – وجبهة المغول وجبهة الممالك الصليبية.

ويشار إلىٰ أنه لم تمر به سنة من عقد من الزمان بعد معركة عين جالوت (٦٦٠ ـ ٦٧٠ هـ) دون أن يأمر بتوجيه حملة عسكرية أو يقوم بغارة علىٰ قلاع وحصون الإمارات والممالك الصليبية بالشام.

وكان فرض سيطرته علىٰ إمارة أنطاكية سنة (٦٦٨هـ / ١٢٨٩م) فتح عظيم حققه الجيش الإسلامي منذ تحرير القائد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس.

وكان فقدان أنطاكية بالنسبة للصليبيين أكبر فاجعة حلت بهم، إذ كانت أولىٰ الإمارات التي أسسها الصليبيون في الشرق، لذلك جاء سقوطها في يد الجيش الإسلامي إيذاناً بانهيار التواجد الصليبي في بلاد الشام.

وبعد القائد الظاهر بيبرس جاء المملوك المنصور قلاوون (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م ـ ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) الذي عزم علىٰ استكمال رحلة الجهاد ضد الإمارات والممالك الصليبية التي بدأها أسلافه، وهاجم الغزاة الصليبيين في حصن المرقب وبانياس وفي سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، فتح (طرابلس لبنان) بعد أن شدد بحصارها واستعمال سلاح المنجنيق وغنم الجيش الإسلامي غنائم كثيرة.

وأعقب المنصور قلاوون، أبنه القائد الأشرف صلاح الدين خليل، الذي سار علىٰ نهج أبيه في سياسته الخارجية، فعقد العزم منذ توليه الحكم علىٰ حرب الصليبيين، والعمل علىٰ طرد بقاياهم من بلاد الشام، وتحرير المناطق التي كانت في حوزتهم سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وبعد سقوط عكا تساقطت المدن المحتلة الأخرىٰ واحدة تلي سابقتها من دون مقاومة.

لقد استطاع قادة المماليك من إسترجاع أرض المسلمين وإسترداد بلاد الشام من مغتصبيها بمساعدة أبناء المنطقة، الذين أمدوهم بمعونتهم، وأيدوهم بجيشهم ضد الأعداء.

المقدمة:

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين.

لقد كان الشرق الإسلامي في الحقبة التاريخية التي سبقت مدة حكم قادة المماليك الثلاثة من سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م – ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م يعيش حالة انقسام داخلي كبير، وبسبب هذا الانقسام عاشت المنطقة صراعاً عسكرياً، مما ترك الباب مفتوحاً أمام الأوروبيون للتدخل من خلالِ الدعوة البابوية لاحتلال مدينة بيت المقدس والسيطرة على جميعِ مناطق بلاد الشام.

وكان الاحتلال الأوروبي ذاك، قد اتخذ الصليب شعاراً له، وصار الدين ستاراً له، إذ رفعوا شعار الصليب أمام المسلمين، لذلك سميت تلك الحروب بالحروب الصليبية.

والاحتلال الصليبي صار تحدياً خطيراً للأمة الإسلامية، لكون شعاره دينياً وهدفه الضرب في صميم المعتقد الديني.

ظنَّ الصليبيون أنَّ المسلمين ما بعد مرحلة صلاح الدين الأيوبي، قد انتقضت قواهم، وتضعضَعَتْ دعائمهم، وضَعُفت قواعدهم، إذ تراوح فيها بيت المقدس بين النصر والهزيمة وظلّت حالة الجهاد على هذا الحال إلى أن قامت دولة المماليك، تم رفع راية الجهاد وعادت الراية إلى الارتفاع والارتقاء من جديد.

كان ظهور المماليك على الساحة السياسية، لم يأتي عشوائياً وإنما جاء نتيجة حتمية للظروف الصعبة آنذاك، فبعد أن أصبح وجود الدولة الأيوبية ميئوساً منه في مصر، وذلك بسبب سياسة سلاطينهم الضعيف في إدارة الدولة، وعلى أثر ذلك بدأ المماليك يبحثوا عن أفضل طريقة لتوليهم الحكم، ويضمن لهم وجود مقومات بناء دولة المماليك الجديدة على أسس متينة وثابتة، لذلك اتجهوا إلى عامة الناس، كونهم مطلعين على أوضاعهم عن كثب وإمكانية قيام دولتهم، ولاسيما أن المماليك أخذوا فكرة وافية وتصوراً واضحاً، أثناء اتصالهم بالعامة قبل ذلك، وتحمس معظم الناس لمجيء المماليك.

لقد كان انتصار المماليك في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، انتصاراً كبيراً له صدىً في نفوس جميع قادة الدول المحيطة بالدولة الإسلامية ؛ وكان ذلك الصدىٰ لهزيمة

المغول في معركة عين جالوت قد أثار الرعب في نفوس جيوش المغول ورؤسائهم الذين خُيل لهم ومن والاهم إنهم قوة لا تُغلب، فقد سجل التاريخ للمماليك قبل معركة عين جالوت صفحات مشرقة في الجهاد، ففي سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م انتصار المماليك على جيوش الملك الفرنسي (لويس التاسع) قائد الحملة الصليبية السابعة، عند مدينة المنصورة في مصر بقيادة الظاهر بيبرس، إذ تم أسر الملك الفرنسي، ولم يطلق من الأسر إلا بعد أن أُخذ منهُ عهداً ألا يقترب من حدود الدولة الإسلامية ثانيةً.

وكان القصد من محاولة أوروبا البابوية تجديد الحروب الصليبية بالاعتداء على سواحل مصر وبلاد الشام، وأعادت احتلال بيت المقدس، مما ألهب روح الحماس في قادة المماليك الثلاث، الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، والأشرف خليل، وبرفع راية الجهاد التي ساد فيها النصر لدولة الإسلام، وبعون من الله تمكنوا من تشتيت جمع العدو وقذف الروع في قلوبهم، إذ تجلت في قيادة المماليك الثلاث قدرة قوة الدولة الإسلامية بهزيمة وطرد القوى الصليبية، وإرجاع الحق إلىٰ أهله. وقد قسمت البحث إلىٰ مدخل وثلاث مباحث:

فالمدخل تحدث عن أصل المماليك، وكيف تدربوا علىٰ الأمور العسكرية، التي أوصلتهم إلىٰ مراكز متقدمة.

وتناول المبحث الأول: القائد الظاهر بيبرس وسيرته الجهادية لطرد الغزاة الصليبيين من سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م – ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م الذي بدأ مسيرته الجهادية بالتوجه إلىٰ بلاد الشام، إذ حقق غايته فيه، بعد أن أمن سلامة الجبهة الداخلية.

أما المبحث الثاني: فقد تضمن المسيرة الجهادية المتممة لطرد الغزاة الصليبيين، والتي قاد مسيرتها القائد المنصور سيف الدين قلاوون، وقد تولى سدة الحكم سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م – ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م.

وجاء في المبحث الثالث: انقضاض الأشرف خليل قلاوون الذي خلف والده سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م – ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م علىٰ الغزاة الصليبيين وطردهم نهائياً من أرض الدولة الإسلامية.

وفي الخاتمة: تضمنت استنتاج لما جاء في البحث.

مدخل:

أصل المماليك: لغة: جمع مَمْلُوك وهو العبد([1])، واصطلاحاً: المملوك هو الذي اشتُرى بالمال، وأصبح ملكا للمشترى([2]).

كانت تسمية المماليك تشير إلىٰ العبيد البيض الذين يؤسرون أثناء الحروب والمعارك، أو يتم شراؤهم من أسواق العبيد، وكان أغلبهم قد انخرطوا كقادة و جنود من ضمن تشكيلات الجيش، وما مضت عليهم مدة من الزمن حتىٰ وصلوا إلىٰ مناصب رفيعة في الحكم في أواخر أيام حكم الدولة الأيوبية بمصر([3]).

وذُكر أنهم سلالة من الجنود حكمت مصر وبلاد الشام وأجزاء من العراق والجزيرة العربية، لمدة من الزمن وترجع أصولهم إلىٰ آسيا الوسطىٰ([4])، أو إنهم خليط من الأتراك والروم والأوربيين، جلبهم الحكام ليستعينوا بهم كقوة سانده، ودعم لأمن واستقرار الدولة في القرن السادس الهجري.

وكان من أبرز قادة هذه الدولة والذين هم موضوع بحثنا، الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون و الأشرف خليل الذي استرجع مدينة عكا إلىٰ حظيرة الدولة الإسلامية وهي آخر معاقل الغزاة الصليبيين في بلاد الشام([5])، وأكمل طرد الغزاة خارج أرض الدولة الإسلامية.

وهنا تجدر بنا الإشارة إلىٰ ما ذكره المقريزي([6])عن كيفية تربية المملوك الصغير، فيقول: ((إنَّ أول المراحل في حياة المملوك هي أن يتعلم اللغة العربية قراءة وكتابةً ، ثم بعد ذلك يُدفع إلىٰ من يعلمه القرآن الكريم، ثم يبدأ في تعلم مبادئ الفقه الإسلامي، وآداب الشريعة الإسلامية.. ويُهتم جداً بتدريبه علىٰ الصلاة، وكذلك علىٰ الأذكار النبوية ويُراقب المملوك مراقبة شديدة من مؤدبيه ومعلميه، فإذا ارتكب خطأ يمس الآداب الإسلامية نُبه إلىٰ ذلك، ثم عوقب...)).

ويتبيّن لنا من النص أعلاه أن المماليك بعد أن يتم أسرهم أو شراؤهم في الأسواق من قبل السيد المالك لهم، يقوم بتقديمهم إلىٰ مؤدبين خاصين ويعلموهم كل الآداب الشرعية

واللغة؛ من قرآن وحديث، وفقه وسيرة، فقد كانوا يتعلَّمون الفنون العسكريَّة والحربيَّة، وغيرها من مجالات الحياة كافة.

ومن الجدير بالذكر أن النص المتقدم قد فند آراء المستشرق الانكليزي (وليم موير) فيالمماليك بقولهِ:((وقد كان المماليك في بادئ أمرهم متصفين بالوقاحة وشراسة الأخلاق فأخذوا علىٰ مر الأيام يشعرون بما لديهم من القوة وشدة البأس فأزداد هياجهم واشتد ثورانهم... وأحقاد متأججه علىٰ أن هؤلاء المماليك حينما كانوا ينغمسون في شهواتهم وملاذهم، لا يلبثون غالباً أن يثوروا علىٰ سيدهم))([٧]).

ويتضح لنا أن المستشرقين وحتى المنصفين من بينهم، كانت كتاباتهم بها طعون وتشويه، لكل ما قاموا به المماليك من إنجازات هامة وهم من قوميات غير العربية ؛ والتي تمثلت بوقوفهم بوجه (الصليبيين) من الغرب و (المغول) من الشرق.

والحقيقة الدامغة تختلفَ كلّ الاختلاف عمَّا ذكَره هؤلاء المستشرقون ومَن تابعهم، فالحقيقة تقاس على أنها الولاء للدين والمبادئ والقيم والانتماء وخدمة أرض الوطن التي نشأ فيها.

وكان كل ذلك عقب نجاح الدولة الإسلامية (الخوارزمية)([٨]) في تحرير أولىٰ القبلتين وثالث الحرمين من براثن الغزو الصليبي سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م، وكذلك تمكُن السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب من إعادة الوحدة بين المسلمين في مصر وبلاد الشام، كما كانت علىٰ سابق عهدها زمن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي([٩]).

ولقد أخاف ذلك البابوية في أوربا خوفاً شديداً، بضياع مدينة (القدس)، وإعادة الوحدة واللحمة للمسلمين، وعلىٰ عجل سارعت إلىٰ دفع حملة صليبية أخرىٰ، وهي السابعة إلىٰ مصر بقيادة الملك الفرنسي لويس التاسع، وتمكنت من احتلال مدينة دمياط سنة(٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)، وسارعت الدولة الإسلامية للتصدي.

وفي نفس السنة توفي السلطان الصالح، مما أحدث تأخير في التصدي للغزاة إلىٰ حين عودة (تورانشاه)([١٠])، وقام بمواجهة الغزاة الصليبيين، وكان ضمن جيش المسلمين القائد

المملوكي الظاهر بيبرس، ولقد تم أسر الملك لويس التاسع سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م)، إذ أُجبر الملك علىٰ دفع فدية مقابل إطلاق سراحه، ثم إطلاق سراح بقية قواته الغازية ([١١]).

كانت أوضاع مصر السياسية مضطربة، بعد وفاة السلطان الصالح الأيوبي ومقتل تورانشاه الذي ألحق الهزيمة بالصليبيين، وكان سبب قتلهُ معروف ألا وهو الخلافات بينه وبين المماليك([١٢]).

وقد أدى ذلك الوضع إلىٰ إبعاد القيادة عن المماليك، وقد أجمع أمراؤهم علىٰ رأي واحد هو تقليد زوجة السلطان الصالح (شجر الدر) منصب السلطنة، على أن تكون مهام أتابك العساكر الأمير المملوكي عز الدين أيبك([١٣]).

ويبدو أنَّ شجر الدر قد حققت شيء في إخراج الملك لويس وقواته من مصر، إلا أنها لم تستطع الصمود أمام المعارضين في الداخل بسبب توليها منصب السلطان، وأول مَنْ عارض تسنمها المنصب آنذاك رجل الدين عز الدين بن عبد السلام الذي أشار إلىٰ ذلك بـ ((كتاب حول ما قد يبتلىٰ به المسلمون بولاية أمرأة))([١٤]).

وازدادت المخاوف من الأوضاع في بلاد الشام، حينما قام السلطان الأيوبي الناصر يوسف بالتوسع من بلاد الشام متجهاً نحو مصر، مما جعل القادة المماليك يطلبون المساعدة من الخليفة العباسي لمواجهة هذا الزحف التوسعي، ولكن عاصمة الخلافة رفضت الطلب و لم تستجيب له، وظلّت الخلافات والأوضاع المضطربة بين المماليك في مصر والأيوبين في بلاد الشام حتى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م([١٥]).

وكانت تلك الأحداث تجري بين المماليك في مصر وبين الأيوبيين في بلاد الشام، وهناك عدو آخر أكثر خطراً قادماً، هم المغول(التتار) من الشرق يدمر كل شيء أمامه ويحتلون عاصمة الدولة العربية الإسلامية بغداد ويقتلون الخليفة العباسي ([١٦]).

أما المماليك ردّوا على التتار ردّاً قوياً وحاسماً، بقتل رسل العدو وتعليق رؤوسهم في القاهرة، وأعدوا العدة للجيش لقتال العدو القادم من الشرق، وحمي الوطيس بين الطرفين في مكان أسمهُ عين جالوت على أرض فلسطين في ٢٥ / رمضان / ٦٥٨هـ والمصادف ٩/٢/ ١٢٦٠م، وبدد الله شمل الأعداء المغول بمقتل قائدهم ([١٧]).

وإذا كان قادة المماليك الثلاث امتازوا بالبراعة السياسية والحربية فإنهم كانوا إلىٰ جانب ذلك مصلحين اجتماعيين كبار، وأصحاب نهضة حضارية كبناء للمدارس والمساجد والعمائر، حتى يعد عصرهم من أزهى العصور في العمارة، ولهم إسهام رائع في مجال العمارة، كان فن العمارة علىٰ أيديهم إسلاميًا يستقي قواعده من مبادئ الإسلام وأصوله، ففن بناء البيوت مثلا علىٰ عهدهم انطلق من مبدأ منع الاختلاط والغيرة علىٰ النساء، وفي محيط الزراعة فقد حفروا الترع والقنوات، ونظموا وسائل الري وكان الرقي الزراعي أحد مفاخرهم، وفي ميدان الصناعة ازدهرت صناعة النسيج والسيوف، وصناعة السفن، وازدهرت الحياة الثقافية بكافة مجالاتها[١٨].

المبحث الأول

كان القائد الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس[١٩] بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي، قد تولىٰ قيادة الديار المصرية وبلاد الشام والحجاز، والذي ولد بحدود سنة (٦٢٠هـ / ١٢٢١ م) بصحراء القبجاق، أُخذ بيبرس من بلادهِ وأُبيع بدمشق، وإشتراه الأمير علاء الدين آيدكين ألصالحي البندقداري وبه سمي البندقداري([٢٠]).

وذُكر أنَّ علاء الدين آيدكين البندقداري المذكور عاش حتىٰ صار من ضمن أمراء الظاهر بيبرس، إذ ولاه علىٰ دمشق سنة(٦٥٩هـ / ١٢٦١م) ([٢١])، وهذا يبيّن لنا أن بيبرس بدأ مملوكاً يباع في أسواق بغداد والشام وانتهىٰ به الأمر كأحد أعظم القادة في العصر الإسلامي الوسيط.

حقق بيبرس خلال حياته الكثير من الانتصارات ضد الغزو الصليبي والمغولي ابتداءً من معركة المنصورة سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، في حينها كان قائد ضمن جيش تورانشاه، إذ أُلحِق الهزيمة بالقوات الصليبية وتمكن المماليك من أسر الملك الفرنسي فيها([٢٢]).

ولقد أشار المقريزي([٢٣]) إلىٰ أن القائد الظاهر بيبرس كان علىٰ رأس فرقة لاستطلاع أخبار العدو وتحديد مكان تواجده، واشتبك الظاهر بيبرس مع قوة متقدمة من الجيش المغولي إلى أن تكامل الجيش الرئيسي عند عين جالوت في رمضان / ٦٥٨هـ المصادف ٩/ ١٢٦٠م،

بدأ الهجوم تحت شعار (واسلاماه) وحمي وطيس المعركة، ولم يشغل بيبرس ما قاساه من التعب في المعركة بل تتبع أثر المغول حتىٰ هاجمهم وللمرة الثالثة في تجمعهم، وكسر شوكتهم وغنم منهم غنائم كثيرة.

ويتبيّن لنا أن الحضارة الإسلامية في مصر والمغرب العربي وشمال أفريقيا، جُنِّبتْ ويلات الغزو المغولي المدمر، واحتفظ بما لها من مكانة حضارية، ولم تتعرض لما تعرضت له بغداد ودمشق من الخراب والدمار الذي عطّل ما كانتا تزخرا به من تقدم حضاري في الفنون والعلوم والآداب.

وذُكِرَ في المصادر التاريخية المعاصرة أن القاهرة بقيت مكاناً آمناً يفد إليها العلماء والأدباء حتى اكتسبت مكانة متميزة من الناحية الأدبية والعلمية إلى جانب مكانتها السياسية([٢٤]).

فضلاً عن ما قامت به دور الصناعة في مصر وبلاد الشام، ببناء مراكب نهرية خاصة، وذلك لصد أي غزو للأراضي والسواحل المصرية وبلاد الشام، وتنقل للعمل في نهر الفرات، وأنهار الثغور المؤدية إلىٰ أرمينية الصغرىٰ ([٢٥]).

بَعد أن استقرت أوضاع الحكم وأَمسك بزمام الأمور سنة **٦٥٩ه / ١٢٦١م**، تطلع إلىٰ بلاد الشام، إذ أتخذ مكان في جنوب فلسطين يسمىٰ العوجاء مقراً له، تهافت الأمراء والحكام الصليبيين عليه، وحينما أتخذ القائد الظاهر بيبرس سياسة المهادنة معهم، كان في تلك الحقبة الزمنية زيادة في جميع أسعار السلع في تلك السنة([٢٦]).

ونتيجة لعدم التوصل إلىٰ الاتفاق مع الصليبيين، أنفذ قوة عسكرية لمهاجمة بعض معاقل الصليبيين ومَنْ معهم من العرب الذين كانوا يمدوا لهم يد العون([٢٧]).

ومن جانب آخر تطلع القائد الظاهر بيبرس سنة٦٦٠ه / **١٢٦٢م** للانتقام من أمير أنطاكية – طرابلس (بوهمند السادس **Bohemond V1 of Antioch**)، وذلك لتحالفه مع المغول ضد المسلمين ثم أنفذ الأمير شمس الدين سنقر إلىٰ إنطاكية ومهاجمتها بعد أن أعاد الأوضاع إلىٰ سابق عهدها بعد الاضطرابات التي حصلت فيها، وأنظم إلىٰ القوة العسكرية للإغارة علىٰ إنطاكية، فكان تركيزه علىٰ مينائها، وسيطر عليه، ولولا تدخل هيثوم الأول ملك

أرمينية الصغرىٰ الذي طلب المساعدة من المغول، يكاد أن يسيطر علىٰ إنطاكية بالكامل، مما حدىٰ بالأمير شمس الدين أن ينسحب عنها، وبذلك غَير اتجاه القوة العسكرية إلىٰ منطقة السويداء التابعة لإنطاكية، فدخلها بقوة السيف وقضىٰ علىٰ العديد من القوات الصليبية، وأسّر أكثر من (٢٥٠) أسير من الصليبين، وعاد بهم إلىٰ القاهرة([٢٨]).

أما في سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م، ولذكاء بيبرس الحاد وحنكته وشجاعته في قيادة الجيش الإسلامي، مما جعله أن يتبع سياسة المناورة مع الصليبيين، وقبوله للهدايا التي تقدم من قبل الأمراء والحكام الصليبيين، وذاك كله حصل كون بيبرس لم يكن قد انتهىٰ بعد من تأمين الوضع داخل بلاد الشام([٢٩]) .

لقد تحمل الظاهر بيبرس غرور وصلف الصليبيين، وما كتبوا إليه من ندمهم علىٰ أقامت الهدنة ويجب فسخها، إلىٰ أن تمكن من تأمين الوضع الداخلي وإخماد الفتن ([٣٠]).

ويبدو أن الصليبيين تزامناً مع هذا الفعل، بدءوا يشنون هجمات مضادة على القوات الإسلامية، للحد من غاراتها، فقد قامت قوة من الصليبيين من فرسان الداوية([٣١]) والأسبتارية([٣٢])، بالإغارة علىٰ مدينة عكا، وعسقلان، وقيسارية، وبيسان، وأسروا عدد من المسلمين واستولوا علىٰ أموالهم، وكل هذا حدث في مدة الهدنة([٣٣]).

كان ردّ المسلمين آنذاك على لسان أمير عكا، بتذكير الصليبيين بالهدنة التي هم طلبوها، فأرسلوا وزير قيسارية ليتحاور مع المسلمين، وأمسك به، ولم يطلق سراحهُ إلا بعد أن رد الصليبيين جميع ما استولوا عليه([٣٤]).

تبيّن أن القائد الظاهر بيبرس بعد أن نجح في تأمين سلامة الجبهة الداخلية واستأصل الداء، وأزال الرّوْع، قرر بعد أن وصل به السَّيْلُ الزُّبى، بإقدامه علىٰ مهاجمة القوات الغازية وطردهم خارج بلاد الإسلام وتحرير الأرض من براثن الأعداء ([٣٥]).

سيطرة بيبرس علىٰ قيسارية، وذلك بعد أن وصل الخبر إليه بأن المغول سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م قاموا بالهجوم علىٰ بلاد الشام، من جهة الشمال، قام وعلىٰ الفور بجمع قواته العسكرية المتواجدة في مصر وتجهيزها استعداداً لخروجه علىٰ رأس تلك القوة لإفشال ذاك

الهجوم، وكان بيبرس علىٰ علم بأن الغزاة الصليبيين هم الذين مهدوا الطريق من خلال تزويدهم بالمعلومات بأن قوات المسلمين لا يمكنها بهذا الوقت بالتجمع، ولكن علىٰ العكس وجدوا القوات مستعدة لمواجهة وصد المغول في منطقة البيرة(٣٦).

يبدو لنا أن القائد الظاهر بيبرس صمم علىٰ مهاجمة الغزاة الصليبيين في المناطق الساحلية، مستفيداً من أن قوته العسكرية جاهزة للقتال، ثم اجتاز بقواته المانع الطبيعي نهر العوجا، واستطاع أن يمهد الطريق ويضم إلىٰ قواته من القلاع الإسلامية القريبة الصناع والحجارين والمجانيق، وبعد إتمام التجهيزات اللازمة وسار باتجاه قيساريه وفق خطة محاطة بسرية وكتمان، وفاجأهم في مقراتهم، وحاصر قيسارية وجزء من قواته شاغل القوات الصليبية القريبة منها لمنع القوات المتواجدة في القيسارية(٣٧).

تمكن الظاهر بيبرس بالقوة العسكرية التي قادها من تجاوز جميع العوائق (الخنادق) أن يعتلي أسوارها جنده ودخلوها وهدم جميع أبنيتها ومن ضمنها قلعتها وأصبحت تحت سيطرته(٣٨).

ما أن أحكم سيطرته علىٰ قيسارية، تحرك اتجاه أرسوف جنوباً لتحريرها، إذ أقدم الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م، علىٰ تطبيق خطة عسكرية أخرىٰ، لبسط نفوذه عليها، وأشار صاحب كتاب السلوك، إلىٰ الخطة العسكرية التي أحكمها القائد بيبرس ونفذها بدقة ونصر الله رايتهُ علىٰ الأعداء(٣٩).

وذكرت المصادر أن العدو متحَصنٌ في حصونه وسُدِدَت مسالكهم، وأرض المعركة تملئها الحشود العسكرية الكثيفة التي حَطَّت بساحتهم، وبحضور مَن رافق الجيش من رجال الدين من الزهاد والفقهاء، إذ لم يتبع هذا الحشد المبارك أي شيء من الفواحش، وحتىٰ النساء كنَّ يسقين الماء أثناء المعركة ويسحبن في المجانيق، وما أن أفلح الله ألويته حتىٰ أنفذ قوات عسكرية للإغارة علىٰ المعاقل الصليبية المطلة علىٰ ساحل بلاد الشام، وغنم المسلمون غنائم كبيرة، وكان هدفه عكا(٤٠).

أما عن تحرير صفد، حينما مهد القائد للأوضاع بكسب أهالي المناطق المحيطة بها واستمالتهم للقوات الإسلامية(٤١).

وبعد فترة وجيزة وصل الظاهر بيبرس مدينة صفد سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م، بدأ بحصارها مما جعل أمراء صور وبيروت ويافا يطلبون منه الموادعة، وأنكر عليهم ذلك، كون هذا ينقض العهد الذي بينهم، وتزامن هذا مع وصول المجانيق التي كان قد طلبها من دمشق قبل مدة شهر،وشرع بشن الغارات، مستخدم فيها السهام المشتعلة بالنفط، رغم أن قواته واجهة قوة جعلته أن يقود الهجمات بنفسه، وبذلك حقق الانتصار ٢٣/تموز من نفس السنة([٤٢]).

وانطلق بعد هذا النصر الكبير نحو طبرية وبسط نفوذه عليها وعلىٰ المناطق المحيطة بها، ودمر قلاع مدينتي هونين وتبنين بالكامل، وسيطر علىٰ مدينتي الرملة واللد([٤٣])، وأرسل قوة من جيشه إلىٰ حيفا، فقطع الأشجار الموجودة فيها، وأمر جيشه بالمسير بأتجاه دمشق ومحاصرتها، لكن لم يأمر بدخولها بل غير اتجاه حملة الجند إلىٰ أرمينية الصغرىٰ ([٤٤]).

يبدو لنا أن القائد الظاهر بيبرس رأىٰ في الملك هيثوم ملك أرمينية بأنه وَكْرُ الخبث والخيانة، إذ دخل في حلف مع قائد المغول (هولاكو) ضد المسلمين، ودخل في حلف آخر مع الصليبيين في بلاد الشام، وتجاوزَ حدَّهُ بإتباعه سياسة أخرىٰ ضد المماليك في مصر وهي فرض حصار يمنع بها الوصول الأخشاب والحديد من آسيا الصغرىٰ إلىٰ عاصمة المماليك، والهدف معروف هو تعطيل العمل بإنشاء قوة بحرية قوية([٤٥]).

كانت تلك الأخشاب تدخل في صناعة السفن الحربية الموجودة في مصر، وأمام ذاك التحدي الجديد ظّل القائد بيبرس ينتظر الوقت الملائم للانقضاض علىٰ الملك هيثوم وتدمير مملكتهُ، وأثناء الخلاف الذي كان دائر ما بين مغول فارس ومغول القفجاق، وانشغالهم عن مساندة هيثوم ([٤٦]).

وذُكر أن بيبرس قد جهز جيشاً كبيراً بقيادة الأمير سيف الدين قلاوون وللملك الأيوبي المنصور الثاني ملك حماه، للتقدم نحو مملكة أرمينية والقضاء هزم فيها الجيش الأرميني وبدد شملهم وصار عبرةً لمن أعتبر وقتل في المعركة الأمير (توروس) أبن الملك هيثوم الأول، وحينما تضايقت علىٰ الأمير (ليو) أبن الملك الآخر وقع أسيراً في أيدي المسلمين، وأما الملك هيثوم الأول، الذي تحالف مع المغول الوثنيين، حين عودته إلىٰ مملكته ومعهُ قلة قليلة من المغول وجد مملكته خراباً، وكل ذاك جزاءُ ما أقترف من عمل يده ([٤٧]).

وفي سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م، قد جاءت قوة من الصليبيين تقدر عدتها (١٠٠,٠٠٠) مقاتل وعلىٰ رأسهم الملك هيثوم، إذ وصلت إلىٰ عكا وهم يملئ الحقد قلوبهم لقتال المسلمين، وشن غارة علىٰ منطقة الجليل حتىٰ أمتد عدوانه إلىٰ طبرية، وخيرُ من وصف ما حصل لهم هو أبن الظاهر، بقوله: ((وصار في عكا بسببهم عزاء عظيم لما قتل من ملوكهم في هذه الغزاة))([٤٨]).

تبيّنَ لنا أن في سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م تجددت المعارك بين الصليبيين أنفسهم في عكا إذ حاول كُلٍ من الجنوية والبنادقة بسط نفوذه علىٰ عكا، فقد قام الأسطول الجنوي المؤلف من ٢٨ سفينة بقيادة الأمير (لو تيتستوجر مالدي)، الذي تمكن من الاستيلاء على أحد أهم أبراج عكا، فواجهته السفن البندقية واضطرمت نار الحرب البحرية بينهما، وَنكَصَ الأسطول الجنوي علىٰ عقبيه أثر خسارته لـ(١٥)سفينة([٤٩]).

وعاد القائد الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م بجيشه إلىٰ بلاد الشام، وقد أصدر أمر لنائب دمشق بالتوجه إلىٰ قلعة الشقيف أرنون – من حصون فرسان الداوية – لحصارها لحين وصول طلائع جيش بيبرس إليه، وعندما وصل لمقربة من يافا، وطلبوا منه المهادنة، ولكن لم يستجيب لهم وذلك لفعلتهم التي أخلت بالهدنة السابقة، وفتحها عنوة بقوة السيف في نفس السنة، ووزع القرىٰ المحيطة بها أقطاعات للأمراء المماليك، وقد أمر ببناء الجوامع والمساجد علىٰ هذه الأرض وإظهار شعائر الإسلام وإزالة العمل المنكر منها([٥٠]).

ما أن سيطر على الوضع في الشقيف حتى تحرك بجيشه شمالاً أتجاه طرابلس، وخيم بالقرب منها، وبدأ بالإغارة علىٰ المناطق المحيطة بها، وافتتح برجاً كان قد عصىٰ فيه قوة صليبية، وكل ذاك يحدث وأمير طرابلس متخفي في مدينته خوفاً، ولا يستطيع الوقوف أمام القوة الإسلامية([٥١]).

وبعدها سار بيبرس باتجاه الطرطوس وصافيتا فاستقبلهُ أميرها الصليبي ومعه(٣٠٠) أسير مسلم فأطلق سراحهم وذلك تعبيراً عن تودده، وتم تقسيم قيادة الجيش لـ(٣) فرق للسيطرة علىٰ أنطاكية، الأولىٰ منها قطع الطريق بين أنطاكية والبحر والفرقة الثانية لسد الممرات مابين أرمينية والشام، والغرض منها منع المساعدات التي تقدم منها لأنطاكية حينما يبدأ الهجوم

عليها، والفرقة الثالثة بقيادة الظاهر بيبرس، فبدأ بحصارها في شهر رمضان ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨م([٥٢])، وتحقق النصر في نفس الشهر بعد أن تمكن الجيش الإسلامي من اعتلاء الأسوار وأحكام السيطرة علىٰ القلعة وتم أسر أعداداً كبيرة، تقدر بأكثر من (٤٠,٠٠٠) أسير وكانت الغنائم لا تقدر بعدد لدرجة أن ((قسمت النقود بالطاسات))([٥٣]).

وكان لاستعادة المسلمين أنطاكية لهُ وقعاً في نفوس الصليبيين المحيطين بها، فقد سارعوا بإرسال الرسل إلىٰ الظاهر بيبرس يطلبون الأمان، فأمنهم وبدأ باستلام حصونهم واحداً بعد الآخر ومنها ؛ شقيف كفر دبين، شقيف كفر تلميس، ديركوكش، ومن بعدها حصن بغراس([٥٤]).

ويبدو لنا أن السيطرة علىٰ أنطاكية، قد قطع حلقة الوصل بين الصليبيين المتواجدين في طرابلس وعكا وبين أرمينية الصغرىٰ، وإنهاء التحالف الذي كان بين أنطاكية وأرمينية والمغول.

وفي سنة ٦٦٨ﻫ / ١٢٦٩م وصلت أنباء إلىٰ القائد الظاهر بيبرس بأن الغزاة الصليبيين قاموا بحملة جديدة على عكا، وأن هناك هجوماً سوف يشنه الممالك الصليبية في شمال بلاد الشام و المغول علىٰ أراضي المسلمين، فخرج مسرعاً على رأس عدداً قليلاً من الجيش قاصداً بلاد الشام، ليوهم الأعداء بأنه في رحلة صيد، وكان في الوقت نفسه قد أصدر أوامره سراً إلى أمرائه بتجميع الجيوش، ووضع خطة عسكرية محكمة بمهاجمة الأعداء هجوماً خاطفاً وبعدها الهزيمة أمامهم، وبالفعل اندفعوا الأعداء خلف جيش المسلمين، فاستغل بيبرس اندفاع الصليبيين وباغتهم وطوق بقواته العدو من جميع الجهات، ودارت المعركة وانتهت بانكسار الصليبيين والنصر للقائد بيبرس([٥٥]).

وحدث في سنة ٦٦٩ﻫ / ١٢٧١م أن بيبرس قاد بنفسه جيش فتوجه به إلىٰ بلاد الشام بعد فشل لويس التاسع في حملته، وأكمل تحرير قلعة صافيتا وحصن الأكراد وحصن عكا وحصن القرين، وكل ذلك بدعم مركز المسلمين في مواجهة الصليبيين ([٥٦]).

لـم يكـن انشـغال القائـد بيبـرس بمجابهـة الغـزاة الصـليبيين والمغـول، وإعـداد العـدة العسـكرية التـي اسـتنفدت المـال والجهـد، فـإن بيبـرس لـم يغفـل عـن تنشـيط الحركـة العلميـة، ومواصلة البناء والعمارة، وإقامة المدارس ارتبطت باسمه كالمدرسة الظاهرية التي شيدها سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م(٥٧) والمساجد وتجديد بناء جامع الأقمر والجامع الأزهر، وأنشأ الجسر الأعظم والقناطر والقلاع والحمامات(٥٨)، وقرب إليه العلماء والقضاة والفقهاء، الذين كانوا قادة الرأي العام للأمة في ذلك الوقت، إذ أصبحت القاهرة مركزاً للحضارة تضم العلوم بعد سقوط بغداد وازدياد سقوط دول الإسلام في الأندلس على يد الأعداء القادمين من الغرب، فتوافد عليها العلماء واتخذوها قبلة لهم، ووجدوا في كنف بيبرس كل رعاية واهتمام(٥٩).

وتوفي القائد الظاهر بيبرس بدمشق يوم الخميس ٢٨ /محرم / ٦٧٦هـ المصادف٣ /٥ / ١٢٧٧م، إذ لم يمهله القدر ليواصل ما بدأه من جهود ضد الصليبيين في بلاد الشام، محققاً خلال حياته العديد من الانتصارات ضد الغزاة الصليبيين والمغول ابتداءً من معركة المنصورة سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ومعركة عين جالوت انتهاء بمعركة الأبلستين ضد المغول سنة٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م(٦٠).

ويتبيّن لنا أن القائد الظاهر بيبرس، قد عمل على توحيد الكلمة للقبائل العربية في بلاد الشام ومصر، فأخلصوا النية لله عز وجل، ووضع الأسس القوية لمن أتىٰ من بعده من قادة المماليك الذين ساروا علىٰ نهجه في فكر الجهاد.

المبحث الثاني

القائد المنصور قلاوون، هو سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون بن عبد الله الألفي التركي ألصالحي ألنجمي أحد أبرز القادة المماليك بعد بيبرس، لقد أهّلته مواهبه وملكاته لأن يبرز على الساحة قائداً، وبرز أسمهُ في عهد الظاهر بيبرس الذي منحه ثقته ؛ لذكائه وشجاعته، وتصاهرا(٦١).

وبعد وفاة الظاهر بيبرس سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، قام القائد المنصور قلاوون في سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م(٦٢)، بخلع ولدي الظاهر بيبرس من السلطنة السعيد محمد بركة خان

والملك العادل بدر الدين سلامش، وتلقب بالمنصور وكان أسمه يذكر في الخطبة علىٰ المنابر، وتولىٰ المنصور قلاوون القيادة ([٦٣]).

كان المنصور قلاوون في أوائل توليه القيادة قد تعرض لمحاولة إبعاده عنها، قام بها الأمير سنقر الأشقر نائب دمشق، غايته من خلالها الانفصال ببلاد الشام عن مركز القيادة في مصر، ودعا الأمراء هناك إلىٰ طاعته، وتلقب بالملك الكامل سنة ٦٧٨ﻫ / ١٢٧٩م، ولخطورة الأمر اضطر المنصور قلاوون إلىٰ إرسال جيشه للقضاء علىٰ سنقر سنة ٦٧٩ﻫ / ١٢٨٠م([٦٤]).

ووقعت معركة بينهما بغزة، على أثرها تمكن المنصور من القضاء على هذه المحاولة وفرار الأشقر إلىٰ شمال الشام، وعلىٰ أثر ذلك بدأ يراسل أبغا بن هولاكو، وبأنه سوف يقدم المساعدة حينما يغزو بلاد الشام، وبعد مضي مدة من الزمن صالح القائد المنصور سنقر الأشقر وصالح أبناء الظاهر بيبرس وأمن جانبهم ([٦٥]).

وذُكر أن القائد المنصور قد عزم على استكمال رحلة الجهاد ضد الصليبيين التي بدأها أسلافه، إذ لم تختلف سياسة قلاوون الخارجية عن سياسة القائد الظاهر بيبرس الذي نجح في تثبيت أركان دولة المماليك، ووضع لها أسسها ونظامها، وفرض هيبتها على أعدائها وأمّن حدودها، كان هو المؤسس الحقيقي لدولة المماليك([٦٦]) .

وتبيّن لقلاوون أن الخطر لا يزال قائم ما دامت القوى الصليبية لا تزال تحتل أجزاء من بلاد الشام، وأن المغول غايتهم الاستيلاء على مصر والشام، فأخذ للأمر أهمية، واستعد له بما يستحق من الحيطة، وكان من الصعب عليه أن ينازل قوتين في وقت واحد، فخطط لإحداث الفتن بين خصومه الذين تحالفوا جميعًا ضده، وكان ثمة مخطط صليبي مغولي آخذ في التكوين لضرب دولة المماليك([٦٧]).

كان المغول أكثر خطرًا وأعظم استعدادًا، فإن القائد قلاوون قد اتجه إليهم أولاً، بعد أن عقد معاهدة صلح مع الصليبيين في الشام سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) لمدة عشر سنوات، حتى يستعد لمقاتلة المغول، فخرج للقائهم بعد أن أغاروا على بلاد الشام، وقاموا بأفعالهم

وعاداتهم الهمجية في السلب والنهب وقتل الأبرياء، وتمكن من أن يلحق بهم هزيمة لها صدىٰ في موقعة حمص في ١٤ من رجب ٦٨٠هـ/٣٠ /١٠/ ١٢٨١م (٦٨).

لقد قتل فيها من جنود المغول أعداد كبيرة وفر الباقون مولين الأدبار إلى شرقي الفرات، وبعد الانتصار العظيم رحل قلاوون إلىٰ دمشق، فكان يوماً عظم فيه سرور الناس وامتدحه الشعراء بهذا النصر، وبهذا تمكن المنصور قلاوون من إفشال محاولة المغول السيطرة على مدن الشام الشمالية(٦٩).

واصل المنصور قلاوون جهاده ضد الصليبيين، إذ لم يصبر قلاوون على انتهاء المعاهدة التي عقدها مع الصليبيين، وكانوا لا يزالون خطرًا على الدولة الإسلامية، يحتلون أجزاءً من أراضيها، ولا يحترمون عهدًا ولا ذمة إذا ما سنحت لهم فرصة، أو اشتدت بهم قوة، فهاجم قلاوون حصن المرقب الذي كان يحمي حدود طرابلس الشمالية وصِفَ بأنه ((غاية في العلو والحصانة))(٧٠)، وهو من أمنع الحصون الصليبية في الشام، وذلك في سنة (٦٨٤ هـ/١٢٨٥م)، وذلك بسب اعتراضهم قافلة من التجار المسلمين، ولم يبق للصليبيين من إماراتهم سوى طرابلس التي يحكمها أمراء النورمان، وعكا التي أصبحت مقر مملكة بيت المقدس، بالإضافة إلى بعض الحصون مثل حصني المرقب وطرسوس(٧١).

وحينما أرسل القائد المنصور قلاوون جيشاً ليسترد به ميناء اللاذقية سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) الذي كان فيها برج حصين في وسط البحر(٧٢)، ولكن حدث في تلك الآونة أن وقعت زلزلة قوية في منطقة اللاذقية حطمت برجها في وسط البحر، تمكن جيش المسلمين في عمل الثقوب من جهة الأمكنة التي حطمتها الزلزلة، إذ كُشِف الحصن من جهة البحر، فخاف من بداخلها وسلموا الحصن، وكانت اللاذقية آخر ما تبقىٰ من إمارة أنطاكية الصليبية التي حررها القائد الظاهر بيبرس من قبل (٧٣).

وذكرت بعض المصادر أن عدم وصول المساعدات من أوربا لمساندة الممالك الصليبية في بلاد الشام، كان لانشغال حكام أوربا بمنازعاتهم ومشكلاتهم الداخلية، مما دعا المنصور قلاوون في حينها أن يترقب أي عمل عدائي من جانب الصليبيين يكون حجة له لمهاجمتهم، ووصله خبر بأن الصليبيين نقضوا الهدنة، وكذلك تناسى خلافاتهم مؤقتاً، فأرسلوا

السفن الحربية لحماية طرابلس، واثر ذلك قام قلاوون بفتح طرابلس بعد حصار دام شهرين في (٦٨٨ هـ/١٢٨٩م) ([٧٤]).

وحينما تم للقائد المنصور قلاوون فتح طرابلس أمر بالإبقاء علىٰ بنائها، ووضع الجيش فيها، وبالمشورة عليه بأن يهدمها أفضل من بقائها خاصة بعد أن تهدمت أسوارها وأبراجها بفعل الرمي من المنجنيقات أثناء الحصار، فهدمها وأمر ببناء طرابلس الجديدة على جانب النهر، بعيداً عن ساحل البحر، لتكون في منأى عن تهديدات القوة البحرية للغزاة الصليبيين([٧٥]).

لقد تلت طرابلس بيروت وجبلة ولم يبق للصليبيين في الشام سوى عكا وصيدا وعتليت وبعض المدن الصغيرة، وتجهز لفتح عكا، غير أن المنية كانت أسبق من إنجاز حلمه، ففي ذي القعدة ٦٨٩هـ / تشرين الثاني ١٢٩٠م([٧٦]).

ويذكر المقريزي أن القائد قلاوون قد اهتم ببناء المسجد الجامع في سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م والفراغ منه سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م، الذي كان تميزه القبة المقامة أمامه والبيمارستان – المستشفى –، الذي يكون مع المسجد والقبة مجمع معماري واضح المعالم الإسلامية فيه، والمدرسة المنصورية ولا تزال المدرسة شامخة شاهدة على عظمة هذا القائد وازدهار عهده، ووضع وقف لهذا المجمع ما يقارب١,٠٠٠,٠٠٠ مليون درهم سنوياً([٧٧]).

وتشير المصادر التاريخية إلىٰ أن وفاة القائد قلاوون في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ /١٢٩٠م، بقلعة الجبل بالقاهرة، وفيها غُسّل وكفن، ثم حُمل إلى تربته الملحقة بمدرسة العظيمة بين القصرين (شارع المعز) فدُفن فيها([٧٨]).

وتبيّن لنا أن القائد المنصور قلاوون على مدى توليه قيادة المماليك، لم يكن يهمه سوى ما كانت تمليه عليه عقيدته الإسلامية من وجوب التمسك بما قطعه علىٰ نفسه مع أعدائه، لذا فقد نجح في احتواء جميع الخلافات التي حصلت داخل الدولة الإسلامية، لمواجهة الأخطار التي تحيط بها من خلال تلك الخلافات، وكانت سياسته الحكيمة مع خصومه لتهدئة الأمور، والرد السريع عندما يكون هناك خرق للهدنة مع الأعداء، والتي نجح

فيها من تخليص بلاد الشام مرة أخرى من نير الاحتلال المغولي والصليبي حينما حرر طرابلس وخطط لعكا.

المبحث الثالث

الأشرف خليل بن قلاوون، هو صلاح الدين بن المنصور قلاوون، وُلد في القاهرة سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م، وتسلم مقاليد القيادة بعد المنصور قلاوون ألصالحي في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م بعد موت والده، كان الأشرف خليل ضخم الجثة حسن الهيئة، جليل المهابة، تخافه الملوك في أقطارها، عالي الهمة([٧٩]).

ويقول صاحب كتاب النجوم الزاهرة: ((كان الأشرف مفرط الشجاعة والإقدام))([٨٠])، قليل التحرز والاحتياط، مولعاً بالحروب، مقبلاً على الملذات كريماً، كان إلى جوده وبذله الأموال في أغراضه المنتهى أنفق في دعوة واحدة ثلاثمائة ألف دينار، وأهتم بالعمران وبتحصين مدن بلاد الشام بعد خروج الصليبيين منها، وهدم الحصون التي كان الصليبيون يلوذون بها، كما جدد قلعة حلب الذي أصابها من هولاكو، ورمم قلعتي دمشق وبعلبك وزاد فيهما، وبنا المسجد الجامع في طرابلس، وعدداً من المدارس والدور في دمشق والقاهرة ([٨١]).

استهل الأشرف حكمه بالتخلص من المعارضين من رجال الدولة البارزين، الذين كانت لهم السطوة والنفوذ في عهد أبيه، وبإحلال الأمن في جميع ربوع البلاد، وسار على نهج أبيه في سياسته الخارجية، وبدأ في الاستعداد لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين، إذ كان الظرف المحيط بالصليبيين في داخل عكا يسير من سيء إلىٰ أسوأ، وصارت تعج بمزيج غريب غير متجانسمن الصليبيين([٨٢]).

لم تكن وفاة القائد المنصور قلاوون، ولا الخلافات التي دبت بين أمراء المماليك، لها أثر في تغير موقف المماليك إزاء عزمهم علىٰ طرد الغزاة الصليبيين من آخر موطأ قدم لهم في عكا ([٨٣]) . أدرك الصليبيون أن الأمر بات صعباً عليهم، فبدأ ملوك وأمراء الممالك والأمارات الصليبية كسابق عهدهم بإرسالهم الرسل للتوسل بالقائد الأشرف، فقد أرسلوا إليه رسلهم يطلبون منه الصفح، لكنه لم يقبل الاعتذار([٨٤]).

وذُكر أن الأشرف خليل بدأ بإكمال الاستعدادات، التي كان المنصور قلاوون قد بدأها لحرب الغزاة الصليبيين، فأصدر أوامره لقواته العسكرية ببلاد الشام باتخاذ الحيطة والاهبة، وأمر بتوفير وسائل النقل لحمل الأسلحة وآلات الحصار إلىٰ أسوار عكا([٨٥]).

وبدأ بتحرير المناطق التي مابرحت في حوزتهم، بعد أن جمع العساكر من الشام ومصر، وانضم إليه المطوعة، وتوجه قاصداً عكا وحاصرها في ٣ربيع الأول سنة ٦٩٠ه / ٥ نيسان ١٢٩١م ونصب عليها المجانيق ([٨٦]).

وعمل مهندسوه على إحداث فجوات في أسوارها، فلم تصمد أمامه طويلاً على مناعتها والمعونات التي وصلتها بحراً من جزيرة قبرص، وسقطت أسوار المدينة في يده في ١٧ جمادي الأولى سنة ٦٩٠ه / ١٨ أيار ١٢٩١م، هرب الصليبيون مهزومين في المراكب وتساقطت الأبراج المحصنة برجاً برجاً، وكانت ضرباً من الحصون داخل المدينة، إلى أن سقط لآخرها وهو برج الداوية في ٢٨جمادي الأولى / ٢٩ أيار([٨٧]).

وهكذا تحررت عكا في أيدي المسلمين بعد حصار دام أكثر من (٤٤) يوماً، فانتقم الأشرف منهم لغدرهم برجاله وسمح لمن بقي بالانتقال إلى قبرص، وخشية أن يفعل الصليبيون ما فعلوه بصلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧ه / ١١٩٠م، أرسل أحد من قادته إلى صور ليمنع الخارجين من عكا من الالتجاء إليها ([٨٨]).

وتبيّن لنا أن انتصارات القائد الأشرف خليل بن قلاوون، قد فتحت الطريق بعد سقوط عكا، إذ تساقطت المدن المحتلة الأخرى واحدة واحدة من دون مقاومة تذكر، فاستسلمت صيدا وصور وعتليت وجبيل وحيفا وطرطوس وبيروت، كما أتجه عدد كبير منهم بالسفن التي كانت راسية في المرفأ نحو قبرص([٨٩]).

ولقد انتقل من كان في تلك المدن من الصليبيين إلى قبرص، وألزم الأشرف خليل من بقي منهم في تلك المدن دفع الجزية، وأمر بهدم الحصون التي تحميها خشية معاودتهم، ولم يبق في يدهم في الشام إلا جزيرة أرواد قبالة ساحل طرطوس وعمت مظاهر الابتهاج بالنصر مدة

شهر في مدينة دمشق، وخُلِّد أسم الأشرف خليل الذي تم تحرير بلاد الشام من الصليبيين على يديه([٩٠]).

تحول الأشرف بعد تحرير الشام من الفرنجة لقتال المغول في الجزيرة الفراتية والعراق، فقصد قلعة الروم على الفرات في رجب سنة ٦٩١هـ/ تموز ١٢٩٢ م فاحتلها بعد حصار دام ثلاثين يوماً، وأسر أميرها ورؤوس أصحابه، وغنم المسلمون منها شيئاً كثيراً، وزينت دمشق سبعة أيام احتفالاً بالنصر([٩١]).

ولما شعر ملك أرمينية هيثوم الثاني بقوة الملك الأشرف خليل، تخلى له بعد عام من ذلك التاريخ عن قلاع بَهَسْنا ومرعش وتل حمدون التي تتحكم بالطرق المؤدية إلى حلب، وبعد أن رتب الأمور في الشام عاد الملك الأشرف خليل إلى مصر([٩٢]).

بعد تحرير الأرض وإعزاز الدين وإرجاع الأرض لأصحابها، لقي القائد الأشرف خليل قلاوون ربه على يد نائبه وأتباعه، فقد خرج إلى الصيد، فلما كان بأرض تروجة بالقرب من لإسكندرية، حمل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين تطرف عن معسكر الجند، وذلك في سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م([٩٣]).

وتبيّن لنا مما ذكر أن القائد الأشرف خليل حقق حلم المجاهدين المسلمين، بطرد الغزاة الصليبيين من أرض الإسلام، وسجل بأحرف من نور انتصاره الكبير علىٰ الأعداء، ليظل أسمه شامخاً في تاريخ الجهاد ضد أعداء الإسلام.

الخاتمة:

لا أُريد أن يكون من هذا الملخص لموضوع البحث تكراراً لما سبق تبيانه، بتفصيل جزئيات محتواه وإنما هو عرض سريع، وبيان موجز لملخص أهم النتائج التي تمخض عنها البحث، وذلك علىٰ نحو ما يلي:-

أولاً:- كانت القوة المبنية علىٰ العقيدة الإسلامية الراسخة التي يمثلها المماليك، قد قضت علىٰ الإمارات والممالك الصليبية، وطردهم من الأرض التابعة للدولة الإسلامية، وإنهاء

الوجود الصليبي بالكامل، لذا فأن الأمة الإسلامية الآن بحاجة ماسة لإحياء الفكر الجهادي والوقوف ضد أعداء الإسلام.

ثانياً:– قادة المماليك الثلاث لم يؤمنوا بمبدأ وراثة الحكم، لأنهم جميعاً نشأوا في ظل طبيعة عسكرية .

ثالثاً:– يبدو إن المدرسة الإسلامية في العمارة هي مدرسة فنية متكاملة ضمت أنواع الفنون جميعها من معمارية وعمرانية وتطبيقية وأسهمت ولا تزال في رقي وبناء الحضارة الإسلامية و دور المماليك الحضاري والعمراني فيها الذي لا يُنكره أحد.

رابعاً:– المستشرقون وحتى بعض المنصفين من بينهم، كانت كتاباتهم بها طعون وتشويه وبقصد منهم، لكل ما قاموا به المماليك من إنجازات هامة.

خامساً:– كانت العلاقات بين قادة المماليك الثلاث وملوك وأمراء الممالك والأمارات الصليبية تتصف بالصراع الدامي، وهذا أمر متوقع لأن لكليهما جزء من المواجهة المستمرة بين ألتشكيلتين الحضارتين السائدتين في الشرق الإسلامي والغرب.

هوامش البحث:

---

(١) إبن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي المصري الأنصاري، (ت: ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب المحيط، قدم له عبد الله العَلاَيلي، دار لسان العرب (بيروت/ بلا .ت)، مجلد٣ ق – ي، ص ٥٢٨.

(٢) إبن منظور: المصدر نفسه .

(٣) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، (لبنان، بيروت، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م)، ط١، ج٤٧، ص ٣٥٧ .

(٤) المقريزي، تَقيّ الدِّين أَبي العبَّاس أحمَد بن عَليّ بن عَبدِ القَادر العبيدي (ت: ٨٤٥ هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عَطا، دار الكتب العلمية (بيروت، لبنان)، ج ١، ص ٣٥٣ – ٣٥٩.

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصر نفسه .

(٧) موير، السير وليم: تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة عابدين وسليم حسن، (القاهرة، سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، مكتبة مدبولي، ط١، ص ٣٩ .

(٨) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف التابكي (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة – ١٩٣٥م)، ج٦، ص٣٢٣.

(٩) العريني، السيد الباز: الأيوبيون،(بيروت، ١٩٦٧م)، ص ١٢٤.

(١٠) توارنشاه: هو ((السطان الملك المعظم غياث الدين توارنشاه ابن السلطان الملك الصالح أيوب ابن ولد بمصر وعمل نيابة أبيه ثم تملك بحصن كيفا وآمد ...)) . الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، دار النشر: مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤١٣هـ)، ط٩، ج٢٣، ص١٩٣ –١٩٤.

(١١) باركر، أرنست: الحروب الصليبية، نقله للعربية: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط٢ (بيروت ـ لبنان)، ص١٢٢.

(١٢) السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص٣٩٠ .

(١٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص٣٦٩ .

(١٤) أبن أيبك الدواداري، أبي بكر عبد الله بن ايبك (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م): الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: الرخ هارمان (القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ج ٨، ص ١٦و١٧ .

(١٥) إبن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله بن رشيد الدينبن عبد الظاهر بن نشوانبن عبد الظاهر السعدي المصري (ت: ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م): الروض الزاهر في سيرة السلطان الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، (الرياض، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، ص ٥٧ .

(١٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد عيسى، دار الغد الجديد (القاهرة، سنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م)، ط١، ص ٤٢١ .

(١٧) اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت:٧٦٨هـ / ١٣٦٧م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ج٤، ص ١٤٩ ؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص٣٦٩ .

(١٨) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزي، (القاهرة، ١٩٨٧م)، ط ٢، ج٢، ص٧٠ و٤٠٦ .

(١٩) بيبرس ((وبيبرس بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وسكون الباء المثناة من تحتها ثم فتح الباء الموحدة وسكون الراء والسين المهملتين ومعناه باللغة التركية أمير فهد)) النجوم الزاهرة ج ٧، ص٩٤.

(٢٠) القبجاق: ((والقبجاق قبيلة عظيمة في الترك وهو بكسر القاف وسكون الباء ثانية الحروف وفتح الجيم ثم ألف وقاف ساكنة)) النجوم الزاهرة ج ٧، ص٩٤.

(٢١) أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م): المختصر في أخبار البشر (بيروت، بلا، ت)، ج٣، ص٢١٠ .

(٢٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٦، ص ٣٧٢ .

(٢٣) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص ٤٣٠ .

(٢٤) الخفاجي، محمد عبد المنعم: الحياة الأدبية في مصر (العصر المملوكي والعثماني)، (القاهرة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، ص ١٢و١٣ .

(٢٥) اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد بن قطب الدين البعلبكي الحنبلي (ت: ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م): ذيل مرآة الزمان، (١٣٧٥هـ / ١٩٥٤م)، مج٢، ص٤١٠ .

(٢٦) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، أو تاريخ الواصلين، ج٦، ص ٤٠٩-٤١٠ .

(٢٧) إبن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٥٤ .

(٢٨) إبن عبد الظاهر: الروض الزاهر ص ١٣٣ ؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٤٦٣ -٤٦٤ ؛ المعاضيدي، خاشع وآخرون: تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، (بغداد، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ص٢٣٥ .

(٢٩) إبن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ١٥٢ – ١٥٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ١١٨- ١١٩ .

(٣١) الداوية: واطلق عليها باسم ((طائفة الداوية **Templars** في سنة ١١١٨م، فارس يرجندي اسمه هيو باجانس **Hugh de Paganis**)) . ارنست باركر: الحرُوبُ الصّليبيّة، ص ٥٨ .

(٣٢) الأسبتارية: وهم ((الأسبتارية **Hospitallers** فينتمون إلىٰ مؤسسة أقامها في بيت المقدس تجار من مدينة امالفي (بايطاليا)، قبل الحروب الصليبية الأولىٰ، وأعاد تنظيمهم فرسان جيرار **Le Puy Gerard** واستمر مقدماً لهم حتى سنة ١١٢٠)) . ارنست باركر: المصدر السابق، ص ٥٨ .

(٣٣) رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، دار الثقافة، (بيروت، سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م)، ج ٣، ص ٥٤٦ .

(٣٤) إبن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٠١.

(٣٥) العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م): جمهرة الأمثال، تحقيق: أحمد عبد السلام وآخرون، دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ/ ٩٨٨م)،ط١، ج ١، ص ٢٠٣.

(٣٦) إبن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص٢٠١.

(٣٧) المصدر نفسه .

(٣٨) موير، السير وليم: تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ٣٩ .

(٣٩) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص٥٥٠ .

(٤٠) المصدر نفسه .

(٤١) الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن، (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م): عيون التواريخ، (دار الكتب المصرية، بلا: ت)، ج٢، ص٣٦٠.

(٤٢) المقريزي: المصدر السابق .

(٤٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص٥٥٠.

(٤٤) إبن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٦٧.

(٤٥) عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية، (القاهرة، ١٩٧٨م)، ج٢، ص ١١٤٨ .

(٤٦) أبن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، (ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت، سنة ١٩٦٦م) ج١٣، ص ٢٤٧ .

(٤٧) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٥٥٣.

(٤٨) الروض الزاهر، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

(٤٩) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٥٥١ .

(٥٠) إبن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٩٣–٢٩٤ .

(٥١) المصدر نفسه، ص٣٢٤ .

(٥٢) المصدر نفسه، ص٢٩٣–٢٩٤ .

(٥٣) أبن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٤٣ .

(٥٤) أبن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٥٢ .

(٥٥) إبن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ٣٦٣–٣٦٤ ؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٥٦٧–٥٦٨ .

(٥٦) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص ١٩١ .

(٥٧) السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ١، ص ٥٣٥ .

(٥٨) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٤٤م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وزكي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت/ ٢٠٠٠م)، ج ١٠، ص ٢١٢ .

(٥٩) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد عبد الهادي (دار الكتب المصرية، ١٩٩٠م)ج٢٠، ص١٣–١٤ .

(٦٠) الصفدي: المصدر السابق .

(٦١) إبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت: ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (لبنان /

بلا .ت)، ج٤، ص ١٥٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٧، ص٢٨٩- ٢٩٢.

(٦٢) إبن خلكان: المصدر نفسه .

(٦٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٨٨- ٢٨٩ .

(٦٤) أبن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل (القاهرة، ١٩٦١م)،ص ٦٧-٦٨ ؛ المعاضيدي: تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص٢٣٩ .

(٦٥) أبن عبد الظاهر: المصدر السابق .

(٦٦) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي (ت: ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م): تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، (بيروت، ١٩٣٩م)، مج٧، ص ٢١٣ .

(٦٧) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٢٩٢ .

(٦٨) ابن الفرات: المصدر السابق، مج ٧، ص ٢٢١-٢٢٢ .

(٦٩) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١٤- ١٥.

(٧٠) أبو الفداء: المصدر نفسه، ج٤، ص ٢١ .

(٧١) المصدر نفسه .

(٧٢) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص١٥١ .

(٧٣) باركر: الحروب الصليبية، ص ١٣١ .

(٧٤) عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية، (القاهرة، ١٩٧٨م)، ص٢٦٤-٢٦٥ .

(٧٥) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص ٧٤٦ .

(٧٦) المصدر نفسه .

(٧٧) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزي، (القاهرة، ١٩٨٧م)، ط ٢، ج٢، ص٤٠٦ .

(٧٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان، ج٥، ص٨٨.

(٧٩) أبن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٣ .

(٨٠) أبن تغري بردي، ج٨، ص٢٧ .

(٨١) ألكتبي: فوات الوفيات، ج١، ص٣٨٢ .

(٨٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١١٧٩-١١٨٠ ؛ المعاضيدي: تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص٢٥١ .

(٨٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٧٥٧ .

(٨٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٧٦٢ .

(٨٥) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص ٢٤.

(٨٦) ابن الفرات: تاريخ أبن الفرات مج ٨، ص ١١٢ .

(٨٧) رنسيمان: الحروب الصليبية، ج٣، ص ٧٠٩ .

(٨٨) أبن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٥ .

(٨٩) أبو الفداء: المصدر السابق، ج٤، ص ٢٥.

(٩٠) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٥ .

(٩١) المصدر نفسه، ص١١-١٢ .

(٩٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣٢ .

(٩٣) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج ٨، ص١٩ .

المصادر:

- أبن أيبك الدواداري، أبي بكر عبد الله بن ايبك (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) .

١- الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: الرخ هارمان (القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف التابكي (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) .

٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة – ١٩٣٥م).

- إبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت: ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) .

٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (لبنان / بلا .ت).

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .

٤- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، (لبنان، بيروت، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م)، ط,١

٥- سير أعلام النبلاء تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، دار النشر: مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤١٣هـ)، ط٩ .

- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م) .

٦- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٨م) .

٧- تـاريخ الخلفـاء، تحقيـق محمـد عيسـى، دار الغـد الجديـد (القـاهرة، سـنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) ، ط١.

ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٤٤م) .

٨- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وزكي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت/ ٢٠٠٠م).

ـ إبن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله بن رشيد الدينبن عبد الظاهر بن نشوانبن عبد الظاهر السعدي المصري (ت: ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) .

٩- الروض الزاهر في سيرة السلطان الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، (الرياض، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).

١٠- أبن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل (القاهرة، ١٩٦١م)

ـ العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) .

١١- جمهرة الأمثال، تحقيق: أحمد عبد السلام وآخرون، دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ/ ٩٨٨م)، ط١ .

ـ أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) .

١٢- المختصر في أخبار البشر (بيروت، بلا، ت).

ـ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي (ت: ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) .

١٣- تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، (بيروت، ١٩٣٩م) .

ـ الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن، (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) .

١٤- عيون التواريخ، (دار الكتب المصرية، بلا: ت) .

١٥- فوات الوفيات، (دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م)، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود، ط ١.

ـ أبن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، (ت: ٧٧٤ﻫ / ١٣٧٢م) .

١٦- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت، سنة ١٩٦٦م).

ـ المقريزي، تَقيّ الدِّين أَبي العبَّاس أحمَد بن عَليّ بن عَبدِ القَادر العبيدي (ت: ٨٤٥ ﻫ/١٤٤١م) .

١٧- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عَطا، دار الكتب العلمية (بيروت، لبنان)

١٨- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزي، (القاهرة، ١٩٨٧م) ، ط ٢ .

ـ إبن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي المصري الأنصاري، (ت: ٧١١ﻫ/١٣١١م)

١٩- لسان العرب المحيط، قدم له عبد الله العَلاَيلي، دار لسان العرب (بيروت/ بلا .ت)، مجلد٣ ق ـ ي.

ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: ٧٣٣ﻫ / ١٣٣٢م) .

٢٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد عبد الهادي (دار الكتب المصرية، ١٩٩٠م).

ـ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت:٧٦٨ﻫ / ١٣٦٧م).

٢١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (بيروت، ١٣٩٠ﻫ/ ١٩٧٠م)

ـ اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد بن قطب الدين البعلبكي الحنبلي(ت: ٧٢٦ﻫ /١٣٢٦م)

٢٢- ذيل مرآة الزمان،(١٣٧٥هـ / ١٩٥٤م) .
ـ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، أو تاريخ الواصلين (بلا، ت) .

المراجع:

ـ باركر، أرنست .
٢٤- الحروب الصليبية، نقله للعربية: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط٢ (بيروت ـ لبنان) .
ـ الخفاجي، محمد عبد المنعم .
٢٥- الحياة الأدبية في مصر(العصر المملوكي والعثماني)،(القاهرة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)
ـ رنسيمان، ستيفن .
٢٦- تاريخ الحروب الصليبية، دار الثقافة، (بيروت، سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
ـ عاشور، سعيد عبد الفتاح .
٢٧- الحركة الصليبية، (القاهرة، ١٩٧٨م).
ـ العريني، السيد الباز .
٢٨- الأيوبيون،(بيروت، ١٩٦٧م) .
ـ المعاضيدي، خاشع وآخرون .
٢٩- تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، (بغداد، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .
ـ موير، السير وليم .

٣٠- تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة عابدين وسليم حسن، (القاهرة، سنة١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، مكتبة مدبولي، ط١.